مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 4 (رت 73) السنة: 2023

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة مليانة خلال العصر الوسيط

Economic and social life in the city of Miliana during the Middle Ages

لعريبي بلال [1]
جامعة البليدة 2- لونيسي علي
laribibilall@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/06/28 القبول 2023/02/18 النشر على الخط 2023/06/05
Received 28/06/2022 Accepted 18/02/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

عرفت الأبحاث والدراسات التاريخية الخاصة ، بالتاريخ الحضري للمدن تطوراً كبيراً ، بعد تطبيق عدد من المقاربات المنهجية الجديدة ، واستغلال الوثائق الجديدة ، كمصادر لتاريخ المدينة في العصر الوسيط ، ولم يكن البحث في التاريخ الحضري لمدن المغرب الإسلامي الوسيط بمعزل عن هذا التطور خصوصا بعدما تجاوز فكرة المدينة المنغلقة على ذاته كما صورتها المولوغرافيات الكلاسيكية ، خصوصاً بعد نشر نصين تاريخيين هامين، حول العمران في الغرب الإسلامي: (نص **ابن الرامي البناء**)" قرن 8 هـ/14م" ونص ثاني **لأبي العباس الفرسطائي النفوسي** الموسوم بـ: **الإعلان بأحكام البنيان** ، كما عولجت بشكل جزئي انتقال وتطور المدينة خلال مراحلها التاريخية، وقد عد المغرب الأوسط بمختلف مدنه تحتاج للبحث مثل " **تلمسان"و " تيهرت"** فإن بعض مجالات الأخرى لم تنل حصتها من الدراسة على غرار مدينة **"مليانة"** ، إضافة إلى البحث في التاريخ المحلي والتعريف بمختلف مناطقه ومدنه ومساهمة المدن الجزائرية في تاريخ المغرب الإسلامي خلال فترة الوسيطية ، ونهدف من خلال هذه الإشكالية الرئيسية مفادها :ما هي أبرز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة مليانة في العصر الوسيط ؟ و تتجلى الحياة الاقتصادية والاجتماعية في **مدينة مليانة (دراسة اقتصادية واجتماعية)** فقد بدأنا باستعراض تطورها وبناءها وتداول الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية ، أما في الجانب الاقتصادي فتطرقنا إلى مختلف الأنشطة التي كانت تمارس من نشاطات تجارية وحرفية وصناعية وزراعية ورعي ، وعن علاقاتها الاقتصادية الداخلية والخارجية ، أما في الجانب الاجتماعي ، فتطرقنا إلى التركيبة البشرية للمدينة .

الكلمات المفتاحية: مدينة ميلانة – مدينة ملثانة – المدينة الخضراء – زكار – المدينة البطحاء

Abstract :

Historical research and studies on the urban history of cities have witnessed a great development after the application of a number of new methodological approaches and the exploitation of new documents as sources for the history of the city in the medieval era. It was portrayed by classical polygraphs, especially after the publication of two important historical texts on urbanization in the Islamic West: (Text of Ibn al-Rami al-Binaa) "8th century AH / 14 AD" and a second text by Abu al-Abbas al-Farasta al-Nufusi marked with: Announcement of the provisions of the structure, and partly dealt with the transmission of And the development of the city during its historical stages, and the Central Maghreb in its various cities has considered issues that need clarification and deepening. Although the luck of some of its cities has received a share of study and research, such as "Tlemcen" and "Tehrt", some other areas did not get their share of study on Similar to the city of "Miliana", in addition to researching the local history and introducing its various regions and cities, and the contribution of Algerian cities to the history of the Islamic Maghreb during the medieval period. The subject, the main problem is: What are the most prominent economic and social aspects of the city of Miliana in the Middle Ages? aspects of the city of Miliana, and the economic and social life is manifested in the city of Miliana (economic and social study). It engages in commercial, craft, industrial, agricultural and grazing activities, and its internal and external economic relations. As for the social aspect, we touched on the human structure of the city.

Keywords :The city of Milan - the city of Miliana - the green city - Zakkar.

[1] المؤلّف المراسل: **د.لعريبي بلال** البريد الإلكتروني: **laribibilall@gmail.com**

مليانة حاضرة المدن المغرب الإسلامي عبر العصور:

مدينة مليانة خلال العصر الوسيط دراسة تاريخية من كتب الجغرافيا و الرحلة [1] :

تعد المعلومات التي افردتها كتب الجغرافيا و الرحلة لبلاد المغرب الأوسط عموما و لمدينة مليانة على وجه الخصوص ذات فائدة كبيرة حيث نجد بها نصوصا مطولة عن الجوانب العمرانية و الطبيعية و الجغرافية نستطيع من خلالها إبراز التطور الذي عرفته هذه المدينة خلال العصر الوسيط باعتباره تحتوي على مادة تاريخية تمس بصفة مباشرة الحياة العامة للسكان ونمط معيشتهم ، من بين الأوصاف التي أعطتها كتب الجغرافيا لمدينة مليانة نذكر ما أورده ابن حوقل في كتابه صورة الأرض وما جاء في كتابات البكري عن مؤسس هذه المدينة و مجددها خلال العصر الوسيط .

غير ان الكتابات الحديثة و المعاصرة و بعض الحفريات التي أجريت بقرب من المدينة أواخر القرن 13هـ/19م قد أكدت على وجود مدينتان هما منليانة و زوقبار و جاء ذكر اسم مليانة في سجل المحاضرة الأسقفية بقرطاجة عام 489م حيث ورد اسم احد اساقفتها مليانة فكتور ، و كشفت بعض التنقيبات على قبر قرب المدينة عان 1265هـ/1849م حمل اسم منليا بنت لوكسيوس [2]

و المعلومات القيمة في كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول كما ورد ذكرها في العديد من نصوص المعاجم الجغرافية مثلما كتبه ياقوت الحموي في قاموسه معجم البلدان وما جمعه الحميري في معجمه[3] الروض المعطار في خبر الأقطار من جهة أخرى تحدثت العديد من كتب الرحلة عن مدينة مليانة التي غالبا ما تقع على طريق رحلة الحجيج المار بالمغرب الأوسط حيث يرد ذكر هذه المدينة في الرحلة المغربية للعبدري و التي توضح و لو بطريقة غير مباشرة الموقع الهام الذي تحتله هذه المدينة في طريق الحاج المغربي و ما تقدمه من أوصاف لها باعتبارها إحدى محطات هذا الطريق [4]

من خلال كتب الرحالة و الجغرافيين عبر مختلف الفترات التاريخية[5] قريبة من أشير وهي مدينة كبيرة من بنيان الروم جددها زيرو بن مناد أيضا فيها اثار قديمة و هي مدينة حصينة في سفح جبل يسمى زكار و شجار هذا الجبل كله ريحان و ينبعث من هذا الجبل عين خزارة عظيمة تعلين عليها الارحية لقوتها و لمدينة مليانة مياه سائحة و انهار و بساتين[6] فيها جميع الفواكه وهي من أخصب بلاد افريقية و أرخصها أسعارا ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة و مزارع واسعة و حولها قبائل كثيرة من البربر و يشق تلك الفحوص نهر شلف مدينة قديمة أزلية فيها اثار أولية تسمى شلف و إليها ينسب النهر الكبير و هي اليوم خراب و الله اعلم[7]

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، المدن الثلاث الجزائر المدية مليانة ، دار الأمة ، الجزائر ، ص 170.

[2] احمد سليمان ، تاريخ المدن الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، 2007م ، ص 118-119.

[4] خديجة بورمل ، مليانة عبر النصوص خديجة بورملة ، مدينة مليانة خلال العصر الوسيط : دراسة تاريخية من خلال كتب الرحلة ، المجلد 8 ، ص 223-242.

[5] النصوص بشير مبارك ، مدينة مليانة في العصر الوسيط دراسة تاريخية من خلال كتب الرحالة و الجغرافيين العرب ، القسم 8 ، ص 139.

[6] محمد بن رابح ، تاريخ مليانة عبر النصوص ، من خلال فسيفساء من قلب التاريخ و الحضارة ، الجزائر ، 1997م ، ص 10.

[7] محمد بن رابح ، المرجع السابق ، ص 10.

و يذكر احد الباحثين بأن هذه الأسماء المتشابهة توحي بأن أصلها لاتيني روماني ، لكن اسمها يطلق على فرع من قبيلة بربرية في ناحية بني هندل جنوب الاصنام في قصر بربري يحمل اسم قصر مليانة من قصور توات ، و في رأيه أن أصل الكلمة بربري ، اما المؤرخ مارمول كربخال الذي عاش أواخر العصر الوسيط فقد سماها مليان ، و انها قديما سميت منيانة ، و يرجع احد الباحثين اسم منيانة و مليانة على اعتبار النطق المحلي ، في حين يرى اخر انها مشتقة من ملأنة ، لما في الناحية من خيرات [1]

وبما ان بلكين بن زيري مؤسسها ، فمن المحتمل أن قبيلة مليانة من بني هندل الصنهاجية التي استقرت بالمنطقة سميت مليانة [2] أما على الأرجح فمليانة تنسب الى السهل الخصب لواد بوتان ، أين تقع خميس مليانة حاليا ، بحيث تفيد بعض المصادر التاريخية ان عائلة رومانية كانت تحتل هذه المنطقة تدعى مانليا اذ في سنة 1849م اكتشف نصب تذكاري يحمل هذا الاسم اللاتيني مانيا [3] و يجزم احد الباحثين بعد بحث و ضبط و تحديد ان لفظ مليانة مختلف على اختلاف الروايات لكن رغم ذلك يمكن يمكن الركون الى القول ، ان اصل مليانة لاتيني روماني ، محرف الى مليانة الحالية [4]

توفرت مدينة مليانة خلال عصر الوسيط على مؤهلات اقتصادية هامة ، نظرا لاهتمامات الجغرافيين و الرحالة التي اتجهت نحو الجوانب الطبيعية و الاقتصادية ز النشاطات المختلفة للسكان ، فأننا نجد الأوصاف التي وضعتها هذه المصادر لمدينة مليانة ، تكاد تتركز على الجانب الاقتصادي عموما ، وعلى زراعة و مصادر المياه بوجه خاص حيث وجدت بها آبار و أنهار تطحن عليها الارحاء [5] ، كما أن لها حظ من نهر الشلف [6] . أما جبل زكار المحيط بها فهو مليء بالعيون [7] ووجدت بها مزارع كثيرة خصبة [8] و [8] و هي ذات أشجار [9] و جناتها تسقى من نهر شلف .[10] وهذه المقومات أدت إلى تنوع النشاطات الإقتصادية فيها.

أ/ الزراعة :

اتفقت جميع الكتب الجغرافية و كتب الرحلة على أن مدينة مليانة خلال عصر الوسيط كانت مدينة فلاحية بالدرجة الأولى ، وهذا راجع الى خصوبة الأراضي الفلاحية التابعة لها ، حيث غالبا ما تصفها هذه المصادر بالبلدة الخصبة .[11] و على أنها حسنة [12] كثيرة

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث الجزائر المدية مليانة ، ط 2 ، منشورات وزارة الثقافة ، 2005،ص292-296.

[2] عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص 296.

[3] Bloch a etude sur le nom de milaina b a a tom 5 1975 alger p173

[4] مبارك بشير ، مدينة مليانة في العصر الوسيط ، دراسة تاريخية من خلال كتب الرحالة و الجغرافين العرب ، مجلة دفاتر البحوث العلمية ، العدد 12 ، 2018م، ص128.

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، دار صادر – بيروت ، 1977م ، ، ص196

[6] ابن حوقل ، كتاب المسالك و الممالك ،مطبعة ليدن ، 1873م ،ص 89

[7] ا حسن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة : محمد حجي – محمد الأخضر ، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م ، ص 34-35

[8] صالح بن قربة وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، جزائر ، 2007م،ص211.

[9] أبي عبيد البكري (487هـ/1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص 61

[10] الادريسي الادريسي : المغرب و ارض السودان و مصر و الاندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1832م ، ص85.

[11] العبدري ، الرحلة المغربية ، الجزائر ، 2007، ص 47

[12] الادريسي ، المصدر السابق ، ص 154.

الخيرات وافرة الغلات ، مشهورة بالحسن و الطيب و كثرة الأشجار و تدفق المياه [1] ويذكر صاحب الروض المعطار في حديثه عن تلمسان ، اسم أحدا اوديتها فيقول : " تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع و هو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى اول بلاد تازا .....[2] هذا ما جعل سكانها يشغلون الفلاحة [3] ان هذه المؤهلات انعكست إيجابا على الزراعة فكثرت المنتجات و كان مردودها و فيرا ، وسهلها الكبير عرف بإنتاجه الفلاحي الغزير ، كانت مليانة غنية بأشجار الجوز ، حتى اصبح الجوز لا يباع و لا يشترى [4] ووزع بها التين و الحبوب بأنواعها مختلفة .[5]

و على الرغم مما أشارت إليه كتب الجغرافيا من وفرة المياه و تنوع مصادر بمدينة مليانة ، لكن الملاحظ أن هذه المصادر قد بخلت علينا بتوضيح الكيفية التي من خلالها يتم استغلال هذه المياه و الطريقة المستخدمة لسقي الأراضي الزراعية ، هل كانت عن طريق قنوات مغلقة أو سواقي مكشوفة ؟.

بالإضافة إلى استغلال جريان الأودية و الأنهار في طحن الحبوب ، و الكيفية التي تتم بها هذه العملية ، و اكتفت بالإشارة الى وجود طواحين، ما عدا الأنهار التي تشق هذه المدينة . و بالتالي فإن الكتابات الجغرافية ، اكتفت بتعديد مصادر المياه التي تستفيد منها الزراعة و انتقلت مباشرة الى تعداد المحاصيل الزراعية التي تشتهر بها مدينة مليانة .

وتدل المعلومات التي أوردتها كتب الجغرافيا على أن بلاد المغرب الأوسط عموما ، هي بلاد ذات إنتاج زراعي وافر ، تتنوع فيها المحاصيل الزراعية من منطقة الى أخرى ، ولعل مدينة مليانة لا تخرج عن هذا الإطار فهي إضافة على أنها كثيرة البساتين و المزارع ، تتنوع فيها المحاصيل ، وكما اوضحته مصادر الجغرافية على انها اشتهرت بإنتاج فواكه والحبوب .

ب / **الحرف** :

بالرغم مما أوضحته كتب الجغرافيا من غنى هذه المدينة من الناحية الزراعية الا انها تبخل علينا بإيرادات معلومات تتعلق بالجانب الحرفي أو التجاري ، والأكيد ان الكثير من موارد هذه المدينة تستعمل كمادة أولية في العديد من الحرف ، لم يقتصر سكان المدينة مليانة على زراعة فقط بل زاول بعضهم مجموعة من الحرف و صناعات فمارسوا صناعة النسيج و الخراطة ، وصنعوا الاواني الخشبية ، لتوفر مادتها الأولية المتمثلة في الغابات الكثيفة المحيطة بالمدينة بقول الحسن الوزان :" ...يكاد يكون سكانها كلهم صناعا ، نساجين أو خراطين ، ويصنع هؤلاء اواني من خشب ..."[6]

وهي نفس الحرف التي أوردها مارمول كربخال خلال وصفه لسكان مدينة ، قائلا :" ومعظمهم من صناع البوخ [7] و السروج على طريقة المغاربة " ومن سكانها خراطون يصنعون أوعية خشبية للشراب يقبل الناس على اقتنائها [8]

---

[1] القزويني ، آثار البلاد و اخبار العباد ، بيروت – لبنان ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ص 273.

[2] الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي مع فهارس شاملة ، تحقيق : احسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان ، 1984م ، ص135

[3] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 34-35

[4] نفسه ، ص 34-35

[5] مختار ، حساني ، موسوعة تاريخية و ثقافة المدن الجزائرية : مدن وسط ، دار مكية ، الجزائر ، 2007م ، ص 129 .

[6] الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 34-35.

[7] نسيج صفيف من الصوف ، انظر : المعجم الوسيط ، 2004 م ، ص 145.

[8] كربخال ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد روبير و اخرون ، دار نشر معرفة ، الرباط ، 1988-1989م ، ص 360.

ج / التجارة :

ازدهار النشاط الزراعي و الصناعي أدى الى ازدهار التجارة ، هذا ما أظهرته النصوص الجغرافية و الرحلية ، كيف أن مدينة ميلانة تقع في طريق الرحلة والتجارة من الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق حيث تشكلت خلال العصر الوسيط احدى المحطات الهامة التي تستوقف الرحالة خصوصا عند أداء فريضة الحج ، والأكيد ان المدينة تستفيد تجاريا من هذا النوع من الرحالات ، وغالبا ما يتوقف عندها الحجاج للتزويد بالمؤونة.

وهذا ما تؤكده كتب المسالك والممالك ، مثل كتابات : ابن حوقل و البكري و الادريسي التي وضعت مدينة ميلانة كمرحلة من مراحل أهم الطرق الرابطة بين مدن المغرب الأوسط [1] ، فوجد بالمدينة سوقا عرفت فيها مختلف المنتجات ، وقد وفد إليه سكان البلدان المجاورة لبيع مختلف منتوجاتهم ، أو اقتناء المنتجات المحلية لميلانة ، عرف هذا السوق باسم سوق جامعة. [2] وكانت تعقد يوميا لكثرة الوافدين عليها [3] و كثرة الوافدين على سوقها وزيادة النشاط التجاري ، أدى الى تأسيس أسواق بالمدن المجاورة التي ذكرتها لنا المصادر الجغرافية ، كسوق ريغة الذي كان يعقد كل جمعة [4] وسوق كران [5] وأسواق حصن كزمانة. [6]

ثم ما يمكن استنتاجه عن التجارة و الطرق بهذه البلاد ، وذلك بالرجوع الى الكتابات الجغرافية ، ان هذه المدينة باعتبارها جزءا من إقليم المغرب الأوسط ، تعد ممرا يمر ما بين افريقية و المغرب الأقصى ، وفي نفس الوقت يصل المناطق الشرقية للمغرب الأوسط مثل قسنطينة و بجاية بالمناطق الغربية مثل تاهرت و تلمسان

وهنا تعتبر كتب المسالك والممالك هي المعول عليها في هذا الجانب .

وعلى الرغم من أهمية موقع المدينة حسبما أوضحته النصوص الجغرافية و الرحلية ، الا انها تبخل علينا بالتفاصيل الخاصة بأنواع السلع المتبادلة بأسواق المدينة ، وعن كيفية تنظيمها ، واكتفت الإشارة الى ان بمدينة ميلانة سوق جامعة و هو ما ذكره البكري [7] واسعارها رخيصة حسبما أشار اليه صاحب كتاب الاستبصار .[8]

3- الجانب الاجتماعي :

لم تسعفنا المصادر الجغرافية و الرحلة في الحديث عن عناصر البشرية التي استقرت بمدينة ميانة ، سوى بعض الإشارات على غرار البكري الذي يقول : " وهي عامرة أهلة [9] و نفس الشيء وافقه عليه صاحب الاستبصار بقوله :" و مدينة ميلانة مشرفة على فحوص واسعة و قرى كثيرة عامرة ...و حولها قبائل كثيرة من البربر "[10] و في هذا الصدد الحميري يذكر قبيلة بني وازيفن الموجودة

---

[1] بورملة ، المرجع السابق ، ص 234

[2] الحميري ، المصدر السابق ، ص 547.

[3] حساني ، المرجع السابق ، ص 129.

[4] الحميري ، المصدر السابق ، ص 280.

[5] ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص90 ،وبن قربة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 217.

[6] الادريسي ، المصدر السابق ، ص 154.

[7] البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ط1 ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، 2003م ، ص 251.

[8] مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 171.

[9] البكري ، المصدر السابق ، ص 251.

[10] مؤلف مجهول ، *الاستبصار* ، ص 171.

في مليانة لقوله : "و هي عامرة و مشرفة على جميع ذلك الفحص الذي فيه بنو وازيفن و غيرهم و هي عامرة آهلة [1]، و بالعودة إلى النص المهم المصدر متأخر بقوله :" فيه ان معظم سكان المدينة كانوا من زواوة و انهم كانوا في خلاف على قبائل العربية بالمنطقة التي كانت تعتدي على المدينة ".[2]

ومما سبق ذكره يمكننا أن نقسم ساكنة مدينة مليانة إلى :

1- **البربر** : ومن أبرزهم الصنهاجيون و بطونها على اعتبار ان مدينة اختطها و أعاد تجديدها زيري بن مناد الصنهاجي و اسكنها بلكين ، اذ يذكر ياقوت الحموي " مليانة ....جددها الزيرين بن مناد و اسكنوها بلكين" .[3] وأبرز تلك البطون نجد: بنو واريفن ، ، نلكاتة وهم قوم زيري بن مناد كانوا بالقرب من المدية [4] ، وبحكم قرب المدية من مليانة ، باعتبار المنطقة قريبة من جبل الونشريس الونشريس ، فلا يستبعد نزوح قبائل بربرية نحو المدينة واستقرارها بها كمكناسة و أوربة ومطماطة [5] . ويذكر أحد الباحثين أن سكان سكان المدينة في البداية كانوا من العلاويين و بعض الأسر البربرية في ضواحي المدية قبل أن يدخلها الصنهاجيون [6] ، و لا يستبعد استقرار المغراويين بمليانة على اعتبار موطنها كانت بالمغرب الأوسط ، وبطونهم كثيرة منهم بنو وارسيقان ، بنو سعيد".[7] ولعل استقرار مغراوة بمليانة يأتي بعد تغلب الحفصيين على مليانة و عقدهم لابن منديل امير مغراوة عليها [8] إضافة الى بنو توجين التي كانت موطنهم من الونشريس الى المدية [9]

2/ **العرب** : وإن لم تسعفنا المصادر التاريخية حول استقرار العرب بمدينة مليانة من عدمها فإن ذلك لا يستبعد دخول العرب إلى مليانة مع الفاتحين ثم الهجرات الهلالية ، التي اجتاحت منطقة المغرب الأوسط ، إذ تؤكد بعض الدراسات أن القبائل العربية التي استقرت بمليانة هي منطقة العرب الرابعة (العرب المستعجمة) من قبائل بني هلال ، ومن هؤلاء نجد: قبيلة هبرة العربية من قبائل مالك نزلت بني هلال ، ومن هؤلاء يؤكد ذلك نزل أولاد عقبة بجهة مليانة [10] ولا يستبعد كذلك نزول بعض القبائل المستقرة بالمناطق المجاورة كالثعالبة و جندل و العطاف ، و حصن إلى مليانة خاصة ، إذا ما علمنا أن العرب معروفين بالترحال أو ما يسمى بحياة الضعن. [11]

3/ الأندلسيون : شهدت مدينة مليانة أيضا دخول العنصر الأندلسي خاصة بعد معركة حصن العقاب و تردي الأوضاع السياسية في بلاد الاندلس لم يبق للأندلسيين سوى المغادرة إلى العدوة المغربية ، و كان نزولهم بالمغرب الأوسط لم يرتبط بمدينة واحدة بل

[1] الحميري ، المصدر السابق ، ص 547
[2] مرمول كربخال ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 360.
[3] ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص196
[4] مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، ج2، 1963 ، ص 177
[5] الادريسي ، المصدر السابق ، ص 85
[6] حساني ، المرجع السابق ، ص 121
[7] الميلي ، المرجع السابق ، ص 174-175
[8] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 421
[9] الميلي ، المرجع السابق ، ص 165
[10] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 166
[11] مبارك بشير ، المرجع السابق ، ص 131

نزلوا بمختلف مدنه كتلمسان . كان لها الحظ الوافر باعتبارها حاضرة المغرب الأوسط و لقربها من الاندلس ، لم تأت بعدها المدن الساحلية كأرشقول ، وهران ، جزائر بني مزغنة ،و بجاية ثم بقية المناطق الداخلية بدرجة أقل منها مدينة مليانة. [1]

أما باقي العناصر التي كانت موجودة في المدن الكبرى كأهل الذمة و العبيد و السودانيون، فإننا لم نعثر في المدونات التاريخية على ذكرهم ، وإن كنا لا نستبعد حضورهم في مدينة مليانة باعتبارها أحد اهم مدن المغرب الأوسط.

وإذا أردنا معرفة الواقع الإجتماعي لفئات المجتمع المليانى ونمط حياتها نذكر المرافق العامة التي نجد بعض الإشارات عنها في النصوص الجغرافية و كتب الرحلة إلى ما يشير إلى وجود مرافق احتوتها المدينة ، و يستفيد منها السكان مثل : الحمامات و الجوامع . و يصف العبدري ذلك في قوله : و بها جامع مليح عجيب يدعو الشوق من راه فيجيب ، ولكن الزمان قد عوضه من حلي عطلا وادي له من حكمته خطلا ، وابدل هاته السهى من تلك الأقمار ، وكساه بعد الحبر الاطمار ، وأحل حلاله بعد وجشة العمار ...وما بقي بها من له العلم أدنى عناية". [2]

ويصف القزويني حمامات مدينة مليانة بقوله : وبقرب المدينة حمامات ، لا يوقد عليها و لا يستقى ماؤها ، بنيت على عين حارة [3]، [3]، عذبة الماء يشتم بها من يشاء. [4]

وما يمكن قوله أن مدينة مليانة كانت مدينة عامرة آهلة بالسكان كان بها العديد من العناصر على غرار العرب الاندلسيون ، كما احتوت كذلك على العديد من المرافق كالحمامات ، مساجد و ان كانت المصادر التاريخية بمختلف أنواعها لم تعطنا معلومات كثيرة حول هذه المدينة.

خاتمة

والجدير بالذكر في هذا المقام أن ننبه على أن البحث في تاريخ مليانة في العصر الوسيط يحتاج منا جهدا كبيرا للوصول إلى المصادر على شحها فكانت دراستنا فاتحة لنا للبحث في التاريخ المحلي ، واستكماله مستقبلا في جوانبه الخفية بعمق للوصول إلى الحقيقة العلمية خاصة جانبها الأثري . وقد توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط التالية :

1. أن مدينة مليانة خلال الفترة الوسيطية ، كانت ذا أهمية قصوى سواء في الجانب السياسي أو في مختلف الجوانب الأخرى بالنسبة للدول التي كانت تحت حكمها.
2. كتب مصادر الرحلة و الجغرافيا كانت هي المصادر الرئيسية التي استند اليها في تطرق لتاريخ مدينة مليانة خاصة ان الدراسات الحضارية كانت الى وقت قريب مهمشة في البحث التاريخي.
3. وقد تميزت مدينة مليانة بموقعها الجغرافي الطبيعي الحصين الذي أهلها بان تحتل مكانة مهمة في المغرب الأوسط ، إضافة الى اعتبارها لحد الساكنة الرئيسية في بناء القوة العسكرية الصنهاجية و قد شكلت كذلك احد القواعد الخلفية التي استندت اليها كل من الفاطميين و الحماديين ،فيما بعدهم في حماية ظهر الدولة. إضافة الى الموقع الاستراتيجي الذي حتم على حكام مدينة

[1] ابن خلدون ، المصدر نفسه ، ص138
[2] العبدري ، المصدر السابق ، ص 47-48
[3] القزويني ، المصدر السابق ، ص 273
[4] نفسه ، ص 273

مليانة ، إعادة تجديد بنائها . وقد اختلت المكانة الاقتصادية لمدينة مليانة ، نقطة بارزة في تاريخ هذه المدينة باعتبارها توفرت على العديد من المقومات الطبيعية و البشرية ساهمت في بروز المدينة اقتصاديا على غرار توفرها على الأراضي الخصبة التي ساعدت على زراعة الحبوب إضافة الى الثروة الحيوانية وتوفرها على مصادر المياه ساهم بقسط وافر في رخاء الحياة في هاته المدينة .

4. إضافة الى ان مدينة مليانة عرفت العديد من الاجناس و الفئات التي سكنتها على غرار السكان الأصليين الذين مثلهم البربر إضافة الى الوافد العربي و الاندلسيين وما حملوه معهم من تجارب ليسهموا في توسيع المدينة كما سكنتها اجناس أخرى وان لم تذكر المصادر التاريخية ذلك على اهل الذمة " اليهود والنصارى " والسودانيين .

5. أما العمارة في مدينة مليانة فقد تنوعت الى عمائر دينية و عسكرية فهذا يدل على ان مدينة مليانة ، قد عرفت عهدا زاخرا في الجانب العمران خاصة بعد تجديد المدينة عدة مرات ، فتنمو العمارة المليانية قابلها ، ازدهارا في الثقافة و العلم ، حيث نجد في كتب التراجم و الطبقات تذكر من العلماء و مدينة مليانة الذين نبغوا في العلوم على غرار الفقه و اللغة العربية.

6. وقد عرفت نهضة حضارية بامتياز في مختلف الجوانب : السياسية و الاقتصادية الثقافية " ، فأعطت بذلك نموذج للمدينة الحضارية في بلاد المغرب الأوسط ، و نوصي الباحثيين و الدارسيين بضرورة البحث و التنقيب في التاريخ الحضاري للمدن خاصة مدينة مليانة التي لا تزال بحاجة الى الدراسة خاصة في جانبها الاقتصادي و الاجتماعي الذي يبقى مغيبا خاصة مع التهميش الذي طالها من المصادر التاريخية.

المصادر والمراجع :

أولا : المصادر

1. البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ط1 ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، 2003م ، ص 251.
2. ابن حوقل ، كتاب المسالك و الممالك ،مطبعة ليدن ، 1873م
3. الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة : محمد حجي – محمد الأخضر ، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983م
4. صالح بن قربة وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط ، جزائر ، 2007م .
5. أبي عبيد البكري (487هـ/1094م) ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دون تاريخ
6. الادريسي الادريسي : المغرب و ارض السودان و مصر و الاندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن ، 1832م ،.
7. العبدري ، الرحلة المغربية ، الجزائر ، 2007م
8. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5، دار صادر – بيروت ، 1977م
9. كربخال ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي ، محمد روبير و اخرون ، دار نشر معرفة ، الرباط ، 1988-1989م
10. القزويني ، آثار البلاد و اخبار العباد ، بيروت – لبنان ، دار بيروت للطباعة والنشر

11. الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، معجم جغرافي مع فهارس شاملة ، تحقيق : احسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان ، 1984م

ثانيا : المراجع :

12. احمد سليمان ، تاريخ المدن الجزائرية ، دار القصبة للنشر ، 2007م
13. أنيس و اخرون ، المعجم الوسيط ، 2004 م
14. خديجة بورمل ، ميليانة عبر النصوص خديجة بورملة ، مدينة ميليانة خلال العصر الوسيط: دراسة تاريخية من خلال كتب الرحلة ، المجلد 8.
15. بشير مبارك ، مدينة ميليانة في العصر الوسيط دراسة تاريخية من خلال كتب الرحالة و الجغرافيين العرب ، القسم 8 .
16. عبد الرحمان الجيلالي ، المدن الثلاث الجزائر المدية ميليانة ، دار الأمة ، الجزائر .
17. محمد بن رابح ، تاريخ ميليانة عبر النصوص ، من خلال فسيفساء من قلب التاريخ و الحضارة ، الجزائر ، 1997م.
18. مبارك بن محمد الهلالي الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، ج2، 1963
19. مختار ، حساني ، موسوعة تاريخية و ثقافة المدن الجزائرية : مدن وسط ، دار مكية ، الجزائر ، 2007م ،
20. Bloch a etude sur le nom de milaina b a a tom 5 1975 alger